انطباعات المشاركين

عن مؤتمر القطّان التربوي الثالث

(1)

في المؤتمر .. الطلاب مشاركون

قبل موعد المؤتمر اعتقدت أنه مجرد مساحة يبث من خلالها كل مشارك تجربة قام بها ليطّلع عليها المهتمون بالتجارب الجديدة، ويناقشوها ويستفيدوا منها، ولكن بعد أن خضت هذه التجربة، وقدّمت أول مشاركة لي في المؤتمر، شعرت بأن هذا المؤتمر بداية تغيير حقيقية في مجال التعليم، وخطوة أولى نحو التفكير وبشكل جديّ لتطوير أساليب غير تقليدية في تعليم طلابنا الذين باتوا يشعرون بأنّ التعليم عبء ثقيل لا ضرورة له، كما أنه دعوة لإحياء التعليم الذي أصبح شبه ميت، فكل التجارب التي تم عرضها في المؤتمر تناولت أسلوباً جديداً لعرض المادة التعليمية التي تعتبر الطالب عضواً فعالاً ومشاركاً فيها، بعد أن كان مجرّد متلقٍّ لا أكثر.

ومما أعجبني في بعض التجارب تحدّث الطلاب أنفسهم حول مشاركتهم في التجربة ومقارنتهم إياها بالأسلوب التقليدي القديم، فقد أصبحوا يحبون المعلّم الذي أشركهم وأعطاهم أدواراً يكشفون من خلالها عن مكنونات أنفسهم، ويحبون المدرسة التي لم تعد مكاناً لتلقي المعلومات، بل أصبحت مكاناً لمشاركة المعلومات وخوض التجارب واكتشاف الذات.

ريما طه

---

(2)

مؤتمر القطان: تردد وخوف .. تحدٍّ ونجاح

حين أعلن مركز القطان للبحث والتطوير التربوي عن عقد مؤتمره الثالث خلال شهر كانون الأول لعرض مشاريع قام بها معلمون من مختلف إنحاء الضفة، فكرت بالمشاركة من خلال مداخلة بسيطة تعكس تلك المنفعة التي حصلت عليها من خلال مشاركتي في مدرسة القطان الصيفية في الدراما التي عقدت في مدينة جرش في تموز 2009، ومشروع «استخدام المحاكاة في تعلم وتعليم العلوم»، حيث كنت مترددة جداً من المشاركة في المؤتمر،

وعرض مثل هذه التجربة الفريدة، حيث أنه شيء جديد غير متداول بين المعلمين، وقد لا يكون مقبولا. لكن دعم المسؤولين في مؤسسة القطان وتشجيعهم المستمر للمعلمين دفعني للقيام بالتجربة.

إن فكرة عقد المؤتمر ووجود معلمين مشاركين لطرح مداخلات جديدة وفريدة على المستوى التعليمي، وحضور معلمين ومسؤولين من وزارة التربية والتعليم، تدفع الحماس داخلنا للتجديد والتقدم في مسار التعليم.

أثار هذا المؤتمر مشاعر متناقضة، بين الخوف والهيبة والتردد من جهة والتحدي والتقدم وفرحة النجاح من جهة أخرى. فنحن بحاجة لمثل هذه البرامج التي تدفع المعلم وتشجعه للاستمرار والعمل والحرص على التجديد، بما يعود على المعلمين والطلاب والمجتمع بالفائدة.

خلال المؤتمر تم عرض مشاريع قام بها معلمون، وتلقي المعلمون بعد الانتهاء من كل عرض بعض الاستفسارات والانتقادات الإيجابية التي تعود علينا نحن كمشاهدين ومشاركين بالفائدة التي تقدم أفكاراً إيجابية جديدة، وتدفعنا للعطاء المستمر وخوض مثل هذه التجارب وتحسينها، بما يعود علينا وعلى وطلابنا ومجتمعنا بالنفع والفائدة.

إن الانتقادات والاقتراحات التي تلقيتها دفعتني للتحدي والتفكير في خوض غمار تجربة جديدة، يتم تعميمها على المعلمين والاستمرار بالعمل دون توقف. فإبداعات المعلمين لا حدود لها، ولا تتوقف، لكنها تحتاج لمن يثريها حتى تخرج وتطبق على أرض الواقع، فترقى بالمعلمين ومن ثم ترقى بالمجتمع والأجيال الصاعدة نحو مسيرة تعليمية ناجحة وفكر واع.

كنانة الدجاني

---

(3)

رحلة بين أصابع النكبة

حملت تجربي في مؤتمر مركز القطان عبقاً ورائحة زعتر أخضر من دير ياسين، ومن كل فلسطين، وكانت رائحة الزعتر والأرض المبتلة قد فاحت عندما تحركت أعين الحاضرين مع كل الحركات المرسومة لطابع الحياة اليومية في قرية من قرى فلسطين، حاولت كثيراً، وبعد أن امتلأ وعاء شعبنا من الألم، أن أرسم ذاك اليوم الأليم ممزوجاً ولو برشة من واحد من مساحيق العزة والكرامة المقطوعة من الأسواق حالياً، إلا ما تم تخزينه لأيام الحاجة، وكنت أخاطب الحضور محاولاً أن أمرّ على المأساة وإن كانت محطة عز وفخر، بنوع من ترتيب أوراق الماضي، لأجل مرافعة أمام محكمة الزمن، لعل وعسى تصبح تلك المحطات ممراً نعتلي به منصة الشعوب التي ضحت من أجل قضية.

حاولت خلال عرض التجربة أن أذهب إلى شخصية كل فتاة فلسطينية جسدتها حياة البلبيسي، حاولت أن أرسم إيقاع الحياة اليومية لفلسطين في دير ياسين، حاولت أن أثبت أن ألوان الجرح كلها حمراء من خلال جراحات دير ياسين، وحاولت أخيراً أن أقول إن النكبة كلها نكبة فلسطين. شعرت أن الحضور أحب الحكاية، وأن أسئلتهم عن دور المنهاج المدرسي في تناول تلك المواضيع هو همهم الوحيد، للتأكد من أن أبناءنا يعرفون مثلنا ككبار عن بيتهم الكبير.

أضافت التجربة بالنسبة لي محطة جديدة لرؤية المنهاج الفلسطيني من الداخل، والتعمق في محتوياته، والإجابة عن كل الأسئلة المرتبطة بدوره، ومدى تطرقه إلى مواضيع تتناسب مع ما نحتاج إلى معرفته في وقتنا الحاضر. وذهبت مع الحضور بعيداً إلى تحليل الصورة في الحكاية وقراءة التاريخ والتنقل بين أصابعه المشدودة والمليئة بتراب الأرض وعرق الجبين.

إسلام كبها

---

(4)

تأملات في المؤتمر

اتصال واحد من مركز القطان للبحث والتطوير التربوي كان بمثابة انقلاب في حياتي، وتغير غير مخطط، وطرح لم يكن في أنماط تفكيري. كانت كلمات تنطلق في سمعي من مرصد سماعة الهاتف وكأنه تقول لي أيّها المعلم من هذه اللحظة بدأ التغير، واستعد للخروج من قيود القوة الخارجية؛ شماعة القوانين، والأنظمة التربوية، وبعدها جاء الخبر بأنك ستشارك في مؤتمر القطان الثالث. بدأت أسارع نفسي، بل تمنيت لو أن اليوم ساعة، والساعة دقيقة، هذه أول مشاركة لي في مؤتمر سيعبر عن ذاتي وعن بناء المعرفة للطلاب، فتصورت وتأملت، وفكرت كيف وماذا وهل أستطيع، فكتبت ورقتي وكانت أفكار في عتمة الليل تقول لي إنك الآن تنتقل من القول والمشاهدة إلى الممارسة والتأمل، فهي ساعة الحرية، ولكن الأمر صعب، كيف ستواجه جمهور المؤتمر من معلمين ومثقفين وباحثين، وكان اتصال آخر من الأخ مالك الريماوي قال ثلاث كلمات وهي أن المادة عظيمة. كانت الكلمات الثلاث بالنسبة لي ثلاث صفحات من الجرأة والتعزيز والبوابة التي انفتحت لي نحو التعبير الحر، والتكامل مع مجتمع المعرفة، وجعلني أشعر أن هناك رابطاً تكاملياً بين فكري وجسدي، والمنطق والخيال، وعمق رؤيتي نحو بناء معرفة تبدأ من تجربة حقيقية واقعية ومنطلق تعليمي تربوي.

انتظرت يوم 18/ 12 بفارغ الصبر لأقدم ورقتي التي أعطاني مالك الريماوي الثقة في قدرتي والعزيمة نحو إنتاج المعنى. لا أستطيع أن أنكر الورقة وكلماتها، وخاصة أنني شعرت بأنها أصبحت جزءاً من ذاتي، تنعكس فيها أفكاري، ومنها استكشفت شخصيي وهويتي كمعلم وباحث وشريك معرفة بالنسبة للطلاب. هذا اليوم هو يوم تاريخي في حياتي، على الرغم من أن هناك عقبات حدثت قبل ساعات المؤتمر، وهو تعطل الباص في الطريق لأكثر من ساعة. شعرت وكأن غيوماً سوداء قد غطتني، ومن الشوق للوصول إلى المؤتمر أسرعت أساعد سائق الباص على أصلاح المشكلة، وكان المطر يتساقط علينا، فقلت في نفسي محاولاً الحفاظ على أفكاري أن المطر خير وبركة.

وما أن دخلت القاعة، كان جزء من التجربة قد بدأ، وعندما اقترب موعد اللقاء ومشاركتي أدركت في نفسي أن شجرة أغصانها تشق الأرض القاسية، ولكن سقوط المطر هون لأغصانها شق التربة السوداء، كان جلوسي على منصة الإلقاء علامة نصر على النفس والهواجس، بل شعرت وكأن الشجرة موجودة سابقاً، ولا تحتاج إلا نسمة هواء لكي تترعرع، فأن أمتلك العيون والسمع والبصر وكاميرا تصوير وخارطة تنقل لي ما احتاج، هذا شيء جيد، ولكن أن تبحر في سماء زرقاء وموج بحر صاف، وتشاهد ما بحث عنه كل مشارك في تجربته التي جسد فيها نفسه نحو طريق أكثر أمناً، أن يحلل ويناقش ويستنتج ويقرر، بل الآن وقفة صدق أسمع أن صوتك تحول من تحت التراب إلى صوت مسموع. غيرك ينظر ويفكر فيما تقول، فهذا أعظم إنجاز. وفجأة، صرخ صوتي داخلي: أنت فكرت وأنتجت فهناك من يستمع، ويتهامس، ويشكر، ويمتدح، وينتقد. فبعد أن سألت نفسي مراراً وتكراراً: من أنا لأكون أحد المشاركين في المؤتمر؟ وجدت الجواب أن مركز القطان مد اليد ليأخذ ما هو أعظم من كونه مؤسسة إلى إيجاد من يبحثون عن ذاتهم وتجاربهم. فالتجربة تخلق الثقافة، بل تجسد روح الفن الجمالي وفضاء الثقة وقواعد البناء، كان أحساساً غريباً نما في فكري أن مؤشر الثقة بالنفس ارتفع، والرغبة والاستعداد الكامل للتحدث عن تجربتي، ومما زاد ثقتي رنين أجراس صوت الطلاب وتأملاتهم التي كانت تنادي وأنا في المؤتمر، بل تخيلت وجودهم وسمعت أصواتهم تقول شارك وأثبت نجاحنا، وحدثهم أننا لسنا طلاباً فحسب، بل أصبحنا شركاء نملك الجرأة والاستعداد، فقناعتي في نفسي بأن وجودي في هذا المؤتمر كرس روح التغير في كل ما أملك من معان وعواطف ومعارف، بل رفع راية أن الطلاب لهم حياة ودور، فكان التفكير أولاً اكتشاف هويتهم، فساعدوني على كشف هويتي، وجاء المؤتمر ليفتح علاقة في نهج تخيلاتي لدور أكبر وأعظم، إلى تفكير أكثر اتساعاً ونمواً، لأجد نفسي من خلال هذه التجربة مشاركاً في مؤتمر.

دخلت إلى متنفس وفضاء خارج أسوار المدرسة، بل أتاح لي أن أعبر فيه عن نفسي، وأبرز مواهبي وطاقاتي، بل تحولت من روتين قاتل إلى طائر يطير ويعبر في كل مكان أمام المسؤول والمثقف والمعلم والطالب والأهم أمام نفسي.

بعد أن انتهيت من مشاركتي بدأت أتمعن في التساؤلات وأتتبع المداخلات والأحاديث الجانبية في أروقة المؤتمر، وكانت لي رغبة في أن أسمع آراءهم عن ورقتي. انغمرت مجموعة من الأسئلة: من أي بلد أنت؟ تجربة رائعة. كيف أنجزت هذه التجربة؟ كيف حولت الطلاب من صامتين إلى محاورة المسؤول وإلى التعبير عن ذاتهم في الإذاعة؟ هل تريد أن تطور التجربة لتصبح عنواناً للتعبير الحر؟ أعطنا رقم هاتفك أو الإيميل نريد التواصل. حتى أن مديرة مدرسة بنات البرج قالت لا تنسَ أن تطبق هذه التجربة في مدرستنا. كان حواراً مع أناس أعرفهم من معلمين وأشخاص لأول مره ألتقي بهم من مناطق متعددة ويحملون ثقافات متنوعة.

فالتغير الذي التمسته هو ما تحقق في داخلي قبل المؤتمر، ونما وتعمق أثناءه، وأثمر بعد المؤتمر من تدرج نحو علاقة متغيرة مع الطلاب في التعامل والأسلوب والطريقة والمنهاج، ودوري كمعلم يجب أن يلعب دوراً أكبر في صقل شخصية الطالب، بل كان التغير أكبر حجماً في بلورة المقارنات الفكرية بيني وبين المشاركين، لأن التجربة دفعتني إلى المغامرة والجرأة والمواجهة من منطلق بسيط إلى مستكشف أكثر نماء.

كان المؤتمر رائعاً في أنه ضم جمهوراً من المعلمين والمثقفين والمؤسسات وباحثين أثروا المؤتمر بآرائهم وأفكارهم وأسئلتهم، وهكذا نجح المؤتمر في تعميم أفكار تربوية جاءت بها تجارب المعلمين، جسدت خطاباً تربوياً جمع ما بين الثقافة والتربية، فأعطى مصداقية لعنوان المؤتمر «تجارب تطبيقية حول ممارسات التعليم ومعارفه»، فقد حملت هذه التجارب تصورات كانت أكثر وضوحاً، وموجهة نحو تغير في النهج التربوي، ولديه القدرة على أن يمارس التعليم كمشروع في المعرفة والحياة، بل جمع خبرات أشخاص فكروا في إيجاد لغة تخاطب التربية والمنهاج لتنطلق من تخيلات مجتمعية وإنسانية جديدة، تفرض وتمكن المعلم والطالب من الحوار والبحث والتساؤل.

ما تم عرضه من تجارب كان نسق حياة لمستقبل أكثر نمو، واتجاهاً لبناء نسق تربوي لتحويل النظرة لدى الطالب والمجتمع من دور المستمع إلى دور أكثر فاعلية، يشترك فيه المعلم والمتعلم، فجمعت هذه التجارب معلمين من أنحاء الوطن كافة، كان هدفهم واحداً: التربية والمعرفة والثقافة والنهوض. أروع ما كان في المؤتمر أنه جمع ما بين الصوت والصورة، والحدث والرسم والكتابة واللغة والتعبير والدراما والمحاكاة على أساس رابط واحد، فربطت ما بين التكنولوجيا والكتاب، ما أوجد نوعاً من الحياة والحركة في قاعات المؤتمر، بل كانت الجدية والحداثة

ومما يؤكد نجاح المؤتمر هو العدد الكبير للحضور من الشمال إلى الجنوب، وكان السؤال: ما هو الشيء الذي دفع هؤلاء المعلمين للقدوم إلى المؤتمر في يوم عطلتهم وجو ممطر إلا الرغبة والجدية وشعورهم بأهمية المؤتمر ورغبتهم في المشاركة.

نعم، قدمت تجربتي، ولم أكتفِ بذلك، بل كانت تجارب الزملاء في غاية الروعة والأهمية، وساهمت هذه التجارب والمداخلات التي أثيرت حولها في إفادة المشاركين، فمن ساهمَ في فكرة المؤتمر وتنفيذه والتخطيط له كان على درجة عالية من الدراية بما يحتاجه المجتمع، من بناء جيل من المعلمين يحمل لواء جديداً نحو تربية مفعمة بالحياة، يكون المعلم أكثر إنتاجاً ليصل إلى طالب مبدع بفكره ومعرفته وثقافته، في وقت تراجعت فيه عدد من نظريات التعليم.

نجح المؤتمر في ترك بصمة فيما عرض من تجارب وأفكار، وبخاصة أنها أنتجت على أيدي طلاب كانوا مشاركين. إن الشعور العظيم الذي تركه المؤتمر في عقول المشاركين والحضور هو أنه أثرى أفكارهم بمعارف جديدة قد تكون بعيدة عن أذهان المعلمين، أو شعروا أنها صعبة التطبيق، بل كانت مفاجأة لهم أنها سهلة، وكل ما في الأمر هو أن تبدأ وتحاول . . . ستشعر أن هناك مذاقاً عذباً للمعرفة والتعلم.

وائل فقيات

---

(5)

الإرادة والتخطيط والصبر مثلث النجاح

كانون الأول من العام 2009 شهر الحرية للمعلمين والمعلمات للتعبير عن آرائهم وتجاربهم التطبيقية حول ممارسات التعليم في مؤتمر القطان الثالث.

الإرادة الحقيقية في عمل المؤتمر مؤشر على نجاح متزايد تبعه تخطيط واضح لرسم صورة جميلة لمعرض لا ينسى، وصبر في العمل الدؤوب المتواصل طيلة الشهر . . . كل ذلك من أجل مناخ تربوي فاعل . . . من أجل المعلمين والمعلمات الذين حضروا إلى قاعة الهلال الأحمر في يوم بارد يصاحبه دفء متلألئ من المشاركات التي قُدمت في المؤتمر.

إن ما ميّز المؤتمر الثالث الأوراق الجديدة والأفكار المختلفة والمتنوعة، ومشاهد السينما في بداية كل جلسة. لا أريد أن أتكلم عن تجربة بحد ذاتها لأن

كل تجربة أكبر من أن تنحصر بين دفتي كتاب، فهي تتناول أقوالاً وأحاسيس وأفعالاً . . . تعبر عن كل ما يضمر ويُظهر صاحبها.

في اليوم الأول كان شعوري مشحوناً بشحنات ليس لها عنوان، لأنني أنتظر مشاركتي في تجربة "التعبير والتفكير: مشروع في سياق حياتي"، حيث تناولتُ فيها كيفية تنمية مهارات التفكير العلمي الناقد في الرياضيات من خلال أنشطة عملية وعلمية يستخدم فيها الطالب العصف الذهني والقصة والألعاب بأسلوب مغاير.

كيف لا وعقل الطالب يأتي بحساباته ليقرر أنه كبير الحجم، ولكن العين وباقي الأحاسيس ليست إلا ناقلاً أميناً لمادة العقل.

انتظرت اليوم الثاني وأنا مرتاح نفسياً، لأرى أفكاراً وتجارب مختلفة يقدمها زملاء لي من محافظات الوطن تعكس أفكارهم وقدراتهم على العمل على الرغم من الظروف التي نعيش فيها.

أدركت في هذا المؤتمر جوانب فكرية لطالما كنت أجهلها بدءاً بالمشهد السينمائي ومروراً برؤى وحكايا د. منير فاشه وختاماً بزهرة الفنجان.

تأملوا معي عالماً سعيداً في الإطار التربوي نزرع في دروبه الورد بدل الأشواك، نحب للجميع ما نحبه لأنفسنا، نقابل طلابنا بالبسمة والمعلومة الهادفة، وننفض همومنا جانباً لنشعر بصفاء نفسي عجيب نبني مجتمعاً مثالياً قائماً على المودة والهناء، منفتحين لكل جديد وأملٍ بمؤتمر قادم.

محمد شاهين

---

(6)

لولا بذرة الـ (power point)

موضوع أثارني في المؤتمر، ما جعلني أكتب ما يلي. ربما لا يرى البعض أهمية وإلحاحية الموضوع ولكن ذلك، في رأيي، يعكس حالة تخدير تميز العصر الحاضر، وترتبط بالتكنولوجيا. على كل حال، رأيت أن أكتب ما شعرت به.

ما رأيته وسمعته وشعرت به خلال اليومين كان من أروع ما مررت به منذ مدة بالنسبة لما له علاقة بالتعليم في فلسطين. شعرت بانتعاش انتشر في كلي. ما كان رائعاً هو التحول الذي لمسته بين المعلمين والمعلمات والطلاب والطالبات من جراء اندماجهم في مشروع وقضية وتفاعل عبر فترة زمنية. هذا العدد من المعلمين والمعلمات الشباب الذين يعملون بهذه الروح وبعاطفة قوية صادقة نابعة من القلب، شيء جميل ملأني بالأمل والحيوية . . . كل الاحترام والتقدير لهم ولكل من ساهم (من مؤسسة القطان) في إبراز هذه الروح وتعميقها.

في الوقت نفسه، كانت هناك بذرة سرطانية غريبة في معظم العروض شعرت معها بالصراخ والركض بعيداً عن مكان المؤتمر (تماماً مثل ما فعل الطفل الذي شاهدناه في الفيلم الهندي) ألا وهي بذرة الـ(power point). كانت تُطفأ الأنوار وتُنار الشاشة ونسمع صوتاً مصدره مكبر صوت . . . شعرت برغبة شديدة مرات عدة في أن أصرخ: مشان الله، أود أن أرى المتحدث وتعابير وجهه وانفعالاته وليس الصور والكلمات على شاشة لا عمق ولا حياة فيها. شعرت برغبة شديدة في أن أصرخ: أريد أن أشعر بكلماتك، ولكن إذا لم تكن أنت شاعراً بها فكيف سأشعر أنا بها؟! أريد أن أرى عينيك وتعابير جسمك؛ الجسم يتكلم والجسم يسمع وليس فقط اللسان والآذان. أريد أن يسمعك كل جسمي، وأريد أن تحدثني بكل جسمك. هذا التغييب للجسم غير مبرر، وخطر جداً. الـ(power point) فعل أمرين: أسهم في التعامل مع الجسم وكأنه غير مهم ويمكن استبداله بأجهزة، كما قلّل من فرصة جدل نسيج بين من كانوا في اللقاء؛ كان بمثابة "ضباب" حجب الرؤيا بالنسبة لي، وأضاع فرصة جدل مثل هذا النسيج. معاملة أي أداة وكأنها محايدة، تسهم في عملية التمزيق والإفساد والتخريب التي نشاهدها حولنا. الأدوات التي توحي بالتقدم كانت السلاح الرئيسي الذي هزمنا من الداخل دون طلقة واحدة، بل استقبلناها بأذرع مفتوحة!

ربما يكون أكثر ما هو مغيب من وعينا للمدنية المهيمنة هو عدم نقد أدواتها، ودور هذه الأدوات في تمزيق العالم الداخلي للإنسان والنسيج في المجتمع. إن اعتبار الأدوات على اختلاف أنواعها (المؤسسات، الشركات، المهنيون والخبراء، التقييم على خط رأسي، الأجهزة، السيفون . . .) أموراً محايدة وموضوعية وعالمية وتعكس رقياً وتقدماً، هو من بين ما يقلقني باستمرار. الـ(power point) مثال لأداة تمزق، وفي الوقت نفسه هناك غياب كامل لأي نقد لها. هذا لا يعني إلغاءها، وإنما معاملتها كأداة يمكن أن تخدمنا دون أن تصبح سيداً منزّهاً عن النقد، لا ننظر في عواقب ما يفعل.

بعبارة أخرى، الـ(power point) تحقير وتذليل وبُطلان للجسم والتعامل معه وكأنه آيل للزوال. اللغة مرتبطة بالجسم ومظهر من مظاهره. لهذا

السبب ما زلت أحب أن أكتب بقلم في يدي، وأتحادث مع الناس وجها لوجه (وإذا لزم الأمر فيما بعد، أستعمل الكمبيوتر، لكن البداية دائماً باليد والقلم والمحادثة الشفهية). الكتابة بالقلم مثل البندورة البلدية: كل كلمة/ حبّة لها شكلها وشخصيتها ومذاقها. يمكن وصف الكتابة بالقلم بكتابة بلدية. في المقابل، الكتابة الأكاديمية مثل البندورة المهجّنة: استنساخٌ لأصل لا جذور له في الحياة.

استعمال الـ(power point) هو نوع من التغزّل بالفصل بين المتحدث والسامع، وبين اللغة والجسم. نوع من الاحتفال بجعل الجسم غير ذي قيمة وبأخذ الآلة مكانه. إحدى خصائص العصر الحاضر هو استبدال الجسم بآلات وأجهزة. إذا وُجد 10 أشخاص في مكان، تُرى من يكون صوته مسموعاً أكثر من الآخرين؟ من معه مكبر، وليس من لديه حكمة أو خبرة ناضجة أو تعبير جميل. استعمال الآلة يوحي بقيمة وتطور، ويعكس الاعتقاد السائد بأن الآلة أرقى من الكلام "الحافي". جزء من السبب في انجذاب الناس لاستعمال الـ(power point)، يكمن في أن من لا يعرف يشعر أنه متخلف عن العصر، عن الركب، وبالتدريج يقتنع بأن استعمال جسمه وصوته يعكس مرتبة أدنى.

إلى جانب ما سبق، يحتاج الجهاز إلى شخص غير المتكلم لتشغيله؛ شخص مغيّب تماماً من وعي المشاهدين، إلا عندما يحصل خلل تقني، عندها نتذكر أن هناك شخصاً في العتمة، ونكيل الاتهامات لتخلفه في تشغيل الأجهزة!

كنت أرغب في إثارة الموضوع أثناء مداخلتي، ولكن الوقت كان ضيقاً جداً. رغبت في ذلك لأن موضوعَي التكنولوجيا واللغة كقدرة جسمية كانا من بين المواضيع التي أخذت حيزاً في أحاديثنا في مخيم شعفاط. اللغة ليست قدرة فكرية أو تعبيرية ذات بعد واحد، بل قدرة يدخل فيها اللسان والفكان وتعابير الوجه والأيدي والأذنان وحركات الجسم المتوافقة مع كلمات المتكلم ومشاعره وعواطفه، وبالتالي لها علاقة حتى بالمعدة والقلب . . . .

الحياة مكونة من ثلاثة أبعاد: المادي، العقلي، الروحي. اللغة تجمع بين هذه الأبعاد: الحسي والفكري وبعدٌ خفي عن العقل والمادة. المدنية الغربية ركّزت منذ 500 سنة، على الأقل، على بعدي المادة والفكر، وأهملت روح الأمور، ما خلق عدم توازن في الحياة. لحسن الحظ، ما زال البعد الثالث حياً (على الرغم من أنه ينازع) في الحضارات الأخرى. [لا يمكن، مثلاً، تفسير سحر الشعر أو الموسيقى أو الإيمان من خلال العقل والمادة. السحر نفسه هو البعد الخفي/ الروحي]. هذا البعد بقي كامناً في المبادرات والتجارب التي سمعناها في المؤتمر بسبب آلة لا روح فيها، كانت تقف فيما بيننا. دفعنا ثمناً باهظاً لأمثالها في السابق. آمل أن نتساءل حولها هذه المرة: ما هو الثمن الذي ندفعه من جراء استعمالنا لها؟

نتكلم عن أهمية النقد، وننقد كل شيء تقريباً، ولكن نادراً ما ننقد الأدوات، إذ نعتبرها محايدة. إن استعمالنا لها في معظم الأحيان هو استجداء حل لمشكلة غير موجودة، بل مختلقة ومع الوقت تصبح وكأنها إحدى ضروريات الحياة!

أعتقد أننا نحتاج –وبقوة– إلى فُسح لا يكون فيها مكان لأي جهاز؛ إلى فسح لا مكان فيها إلا ما كان جزءاً من الخليقة. ربما كان استعمال الـ(power point) موضّحاً ومفيداً في بعض الحالات، ولكنه كان معيقاً للتعرف على المتكلم. بإمكاننا رؤية ما عُرض عبر وسائل دون الحاجة إلى مؤتمر، ولكن لا يمكن لأداة أن تأخذ مكان التفاعل الشخصي. نخسر عبر الأدوات فرصاً غنية لجدل نسيج بين أشخاص تجمعهم عاطفة قوية نحو ناحية معينة في الحياة. أعتقد أن الأوان آن لاستعادة التفاعل الحي الذي يحدث في أحلى مظاهره من خلال التفاعل الشفوي.

لو فكرت بإنشاء "مؤسسة تامر" هذا العام (2009) بدلاً من 1989، لكنت أطلقت حملة تشجيع الشفاهة/ المحادثة وجهاً لوجه، وليس تشجيع القراءة. ما بين 1989 و2009 زاد اختراق الأجهزة الإلكترونية لحياتنا، ما أدى إلى تمزيق أنسجة على مختلف الأصعدة: على صعيد التفاعل بين الناس، وعلى صعيد عدم وجود تناغم بين ما يراه الشخص وما يسمعه وما يفكر به وما يتخيله وما يقوله. عندما يقرأ العارض ما هو مكتوب على الشاشة، لا نشعر بكلماته، لأنه هو لا يشعر بها، إذ كتبها في وقت سابق. أشعر بكآبة عندما يختفي وجه الحاكي وصوته وراء صورة وكلمة مكتوبة.

أقدمنا على المدارس دون أي تفكّر في عواقبها، وأقبلنا على التلفزيون دون التفكر في عواقبه، وأقبلنا على السيفون دون التفكر في عواقبه. أشعر أننا نُقبل حالياً على الـ(power point) دون التفكر فيما نخسره من جراء ذلك. ربما يكون جديراً بالنقاش طرح هذا السؤال على كل من قدموا عروضهم مستعملين هذه الوسيلة.

أود أن أؤكد –وبخاصة في العصر الحاضر– على ضرورة أن نسأل باستمرار: "ما هو الثمن الذي ندفعه من جراء أي مكسب نجنيه؟" غياب مثل هذا التساؤل يعكس تخديراً ملازماً لسحر التكنولوجيا. نحن محظوظون بلغتنا لأنها تفتح لنا باب جذور المعاني، فجذر كلمة "عقل" –عَقَلَ– مرتبط بأحد معانيه: "لجم"؛ أي رأى العرب القدماء دوراً للعقل، العالم الحاضر في أشد الحاجة له من أجل إنقاذنا جميعاً من الدور السائد. بالنسبة للعرب القدماء، دور العقل هو لجم صاحبه حتى يفكر بعواقب ما هو مقدمٌ على عمله قبل الشروع به. مقابل هذا الدور للعقل نجد أن دور العقل في الفكر الغربي (على الأقل منذ 400 سنة) هو "إخضاع الطبيعة"، كما جاء على لسان فرانسس بيكن، أبو العلم الحديث. شتان بين أن يُلجم العقل صاحبه حتى ينظر في العواقب، وبين أن يكون أداة عمياء للسيطرة والفوز والإنجاز.

عندما يتكلم أصدقاء عبر الموبايل ساعات دون تلعثم، ولكنهم يشعرون بعدم راحة عندما تلتقي عيونهم، يؤكد ذلك على أنهم لا يتكلمون معاً، وإنما مع أجهزة. يرتاحون مع الجهاز أكثر من الإنسان. في تجارب مع من كانوا كفيفين وأُجريت عمليات لهم واستطاعوا أن يروا، لم يكن بمقدورهم أن ينقلوا معرفتهم عن طريق اللمس إلى معرفة عن طريق النظر. معرفتهم مثلاً لمفهوم الكرة من خلال اللمس لم تنتقل إلى قدرة لمعرفة من خلال النظر. كذلك، معرفة شخص من خلال التكلم عبر موبايل لا تنتقل إلى معرفة تنتج عبر تفاعل حي.

القضية في نهاية المطاف هي قضية إدراك للإنسان. إدراك العرب للإنسان أنه مكوّن من علاقات وليس عبارة عن فرد منفصل عمن وعما حوله؛ العلاقات هي هويته. مفهوم الـ(individual) التي لا يوجد لها رديف في العربية يعكس وضعاً غريباً لا يعيشه العرب. الأجهزة تعكس علاقات وهمية.

منير فاشه

---

(7)

من الولادة إلى الحضور

لم تكُ هي المشاركة الأولى لي في المؤتمرات التي ينظمها مركز القطان للبحث والتطوير التربوي، بل هي المشاركة الثانية، حيث سبق وأن شاركت في مؤتمر القطان السابق.

وإذا كانت مشاركتي في المؤتمر السابق تمثل لي خضّاً ونضوجاً وولادة، فالمشاركة في هذا المؤتمر تمثل حضوراً فاعلاً واعياً، ومفصلاً لسنوات ست عايشتها مع مركز القطان كمعلمة باحثة، تعلن انسحاباً يتناسب والسنوات الست، والمكان أيضاً، فيرضي ذاتاً لطالما أنبتت جذوراً جديدة لها، وامتدت لتخلق كياناً مغايراً متواصلاً والبيئة التعليمية.

حينما أتحدث عن المشاركة الفاعلة، أستحضر هنا أيضاً طالباتي اللواتي شاركن في المؤتمر، فكان بالنسبة لديهن ولادة جديدة، خروجاً عن المألوف، تساؤلات واندهاشات، وهنا خرجت الطالبات من نمطية الطالبة الملقنّة، إلى الفاعلة، الواعية، فيهتزّ شيء جميل بدواخلهن، ويمسكن ببداية الحكاية،

حكاية الذات الفاعلة .

إن المشاركة في المؤتمر لهي تجربة قيمة لأن فيها تفاعلاً مباشراً مع الفكر والرؤى المختلفة ، وتضع الذات عند مماحكة الآخرين ، فلا يتعلم المشارك الكتابة وكيفية العرض فحسب ، بل يتعلم كيف يحاور بذكاء ، متحملاً تباين الآراء ، وانفعالات الحضور ، فيتعمق تفاعل الذات مع الآخرين ، وهنا يحدث التقبل ، ولكن بنسب مختلفة .

باسمة صواف

---

(8)

البحث عما هو خلف الكلمات

معلمة فلسطينية في داخلها نبض قوي نحو إحداث تغيير جديد وإيجابي في حياتها ، تبحث عن التميز والاندفاع نحو الأمام ، تسير بخطى ثابتة ، تبحث عمن يساعدها ويضعها في ذلك الطريق المضيء الذي منه ستتمكن من تحقيق أهدافها . . . مؤسسة عبد المحسن القطان بيتي الثاني احتضنتني وشجعتني لأكون إحدى زهراتها ، وفروا لي الوقت والدعم المعنوي حتى أنجح في تجربتي ، الخوف من المشاركة كان يراودني لكن من دعمني قال لي بأنني أستطيع .

مؤتمر القطان التربوي الثالث الذي جمع معلمين ومعلمات من شتى المحافظات ، استطاع أن يوحدهم نحو هدف واحد ورؤية واضحة ، نبحث عما هو خلف تلك الكلمات والفقرات المرصوفة .

المرة الأولى هي التي أشارك فيها في مؤتمر يحمل تجارب تطبيقية في التعليم . والجميل في ذلك تنوع الأساليب والأفكار وطريقة العرض ، إلا أننا نحقق هدفاً واحداً وهو إحداث تغيير في أسلوب المعلم والمتعلم الذي كان هو الهدف الواضح الذي نسعى إلى إحداثه ، من طريقة التلقي إلى البحث والتجريب وإيجاد الحلول . هذا ما رأيته من جميع التجارب التي عرضت ، فمن الطلاب من يحكي عن قريته ، ومنهم من تحدث حول حياته الشخصية ، ومنهم من أخذ دور عباءة الخبير ، ومنهم من استكشف القصة .

أما أنا فتجربتي تتحدث عن رسومات الأطفال . . ماذا تحكي؟ وماذا نتعلم منها؟ تجربتي التي تتحدث عن العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة ، وأبرز فيها ما يعانيه أطفالنا من سماع أو رؤية للأحداث المستمرة التي أثرت فينا كأطفال صغار ، رغم كبر سننا ، إلا أننا شعرنا شعورهم نفسه ، فمن يسمع هؤلاء الأطفال؟!

من خلال الرسم كانت انطلاقتي التي بدأت بالألوان والورق حتى أصبحت تجربة واقعية لها صدى ، وهاأنذا أكتب جزءاً عنها لأقدمه لكم ، إلا أن الخوف تملكني حتى اللحظة الأخيرة من وقوفي على المنصة ، لأنني لم أشارك في مدرسة صيفية كباقي زملائي ، إلا أنني كنت على الاستعداد التام وعلى ثقة من أن تجربتي ستحقق شيئاً ، وستضيف لمسة على المواضيع التي طرحت .

قرأت تجربتي وعرضتها أمام الجميع دون خوف وأنا اليوم أشعر بالإنجاز الذي أبحث عنه ، ولكنني أنتظر بشوق عرض تجربة أخرى جديدة ترفعني درجة أخرى أضيئ بها درب معلم أو معلمة . أشكركم حقاً لأنكم تستحقون ذلك .

ربى الكيلاني

---

(9)

«بعيداً عن مآزق الإخراس والتّخبّط!»

الوصول إلى رام الله للمشاركة في مؤتمر القطّان بما يتعلّق بالمبادرات التّربويّة ، لربّما كان سهلاً بالنّسبة لي . أنا القادمة من النّاصرة احتجت إلى عبور حاجز واحد فقط للدّخول إلى رام الله ، لكنّ الحواجز الّتي عبرها كلّ مُشارك/ ة في المؤتمر كانت كثيرة وعديدة ، لا نراها جميعاً بالعين المجرّدة ولكنّها موجودة في داخلنا وحولنا . فجميعنا تعلّم ضمن نظام تربويّ تقليديّ ، رأى المعلّم/ ة بأنّه مركز العمليّة التّعلّميّة ، ورأى واجب المدرسة أن تقدّم

الأفضل لطلاّبها وطالباتها من حيث المبنى والوسائل التّدريسيّة. لذلك، عندما عرض لنا المشاركون، الّذين شاركونا في أوّل البرنامج، تجربتهم في مدرسة «المدية»، وجعلونا نرى مبناها المهمل، شعرت من حولي الكثير من التّضامن مع أوضاع مدارسنا، وسمعت من حولي أصواتاً تتساءل: كيف يمكننا التّجديد في مثل هذا الواقع المرير؟

وعندها عرضت التّجربة الغنيّة الّتي حوّلت الطّلاّب من متلقّين سلبيّين إلى فاعلين نشيطين في تعلّمهم، وحوّلت الطّلاّب إلى باحثين، وحوّلت التّعلّم والبحث إلى مهمّة يشارك فيها ليس الطّلاّب فحسب، بل القرية بأكملها- العائلات، والشّيوخ، والأطفال. فالتّعلّم الّذي يحدث يحمل معنى لهم، ولحياتهم ولبقائهم في القرية. التّعلّم الّذي يحدث يوثّق الحياة ويوثّق العلاقة مع المكان، وهو يعيد تملّكنا لهذا المكان- على الرغم من أنّه محاط بالأسلاك الشّائكة وبالحواجز وبالأسوار العالية. فالتّجربة تجعلنا نمتلك تاريخنا، وبهذا نصبح مسؤولين عن المكان وعن التّاريخ وعن تعلّمنا.

والمعلّم المربيّ ميسّر، دَعَم، شارك، تعلّم بنفسه. وفي هذا المسار عبر عدداً من الحواجز الدّاخلية الّتي حملها معه منذ سنين . . . هو عبر الحواجز، حواجز التحكم في مسار تعلم الطلاب وإعطائهم الأجوبة الجاهزة، بدل الانطلاق من الإيمان بقدرات الطّالب/ ة وتقديم الدّعم والمساءلة وعرض الموارد ليتمكّن الطّالب والطّالبة من البحث والتّعلّم . . . ما عبَره هي حواجز تجعله يتململ، عندما يعترض أحدهم على فكرة ما قدّمها بدل أن يتحاور مع طارحها ويهتمّ بالفكرة . . . نجح في عبور حواجز تحفظ تسلّطه بدل أن يحتفي بقدرات طلاّبه على محاورته، وبالتّالي يكسب احترامهم واحترامهنّ.

حواجز كثيرة . . . وحواجز متنوّعة لم يضعها الاحتلال، بل وضعها نظام تعليميّ تقليديّ، رأى دائماً أنّ الطّالب يتعلّم من خلال الاستماع والحفظ بدل البحث، والتّنقيب، والتّحليل، والمحاورة مع رفاقه على مقعد الدّراسة ومع معلّمه.

وكم كانت فرحتي عظيمة في هذا العرض الّذي شكّل مدخلاً مهمّاً لكل ما جاء بعده.

استمعت إلى العديد من التّجارب، لكنّ تجربة «المدية» علقت في ذاكرتي . . . وخلال اليومين الدّراسيّين توقّفت عند العديد من ردود الفعل الصّادرة عن الحضور، وبخاصة الغضب الّذي حاول البعض أن يصبّه على تلك المفعّلة الّتي نقلت تجارب الأطفال ومشاعرهم وأفكارهم خلال الحرب على غزّة، وحاولت أن تنقل التّجربة بصوت الأطفال ودون تشويه، لكن فضّل العديد أن يخرس صوت الأطفال، وأن يتمّ إسكات الصّبيّة المهتمّة جدّاً بالأطفال والحريصة على إسماع صوتهم كما هو، حتّى إنْ لم تؤمن هي بما يقوله الأطفال. فعندما تساءل الأطفال خلال الحرب على غزة «أين الله؟»، و«كيف يمكن أن يترك الأهل عرضة للحرق والقتل والتّدمير؟»، كانوا يفكّرون كأطفال ويُسمِعون أصواتهم الصّادقة.

بعض الحضور فضّلوا إخراس هذه الأصوات ومنع وجودها في القاعة. وهذا البعض من الحضور كانوا مربّين/ ات. عندها تساءلتُ: ماذا يحدث ألا نستطيع سماع صوت مغاير، حتّى لو كان صوت طفل/ ة يتساءل، عندها شعرت بعظمة ما يحاول «القطّان» فعله. فهنيئاً لنا بكم/ نّ وبكلّ من ساهم في صنع التّجارب، ولمزيد من التّعمّق في الفكر التّربويّ والممارسة التّربويّة التي ستخرجنا من مآزق الإخراس والتّخبّط، لنساهم في صنع مصائرنا والخروج من التّلقّي والسّلبيّة إلى الإنتاج والتّفكير والتّغيير.

أعتقد شخصيّاً أنّ هذه الطّريق الصّعبة تحتاج إلى مثابرة وإلى تشارك، كي نضمن التّراكم المعرفيّ وتوليد المعرفة وهو ما احتجنا إليه في الماضي ونحتاجه اليوم وغداً.

نبيلة أسبانيولي

---

(10)

فرصة لتبادل الخبرات

عندما وصلتني الدعوة للمشاركة في المؤتمر قبل أشهر عدة، لم يخطر ببالي أنني سأكون من المعلمين المشاركين في عرض إحدى تجاربهم عن ممارستهم التعليمية. فبعض التجارب التي نخوضها في حياتنا يكتنفنا بعض التردد في الإقدام عليها، لاسيما عندما لا تكون دوافعنا للخوض فيها واضحةً، ولكن في هذه التجربة لم يلبث التردد أن زال، وبخاصة بعد عودتي من «مدرسة القطان الصيفية: توظيف الدراما في سياق تعليمي»، واستمرار تجربتي في العمل مع طلابي من خلال استخدام الدراما في التعليم كنهج وممارسة، لما لها من تأثير على ذات المتعلم. فمن واقع الشعور بالمسؤولية اتجاه هذا المشروع، والمسؤولية في أهمية إيصال المحتوى والفكرة من وراء تجاربي التطبيقية مع طلابي، والدور الفاعل لهم فيها لأكبر مجموعة متاحة من المعلمين، رأيت أن المؤتمر هو نافذة لتحقيق هذا الهدف.

ومما زاد من قناعتي في المشاركة في هذا المؤتمر هو كوني فلسطينية من الداخل، أشعر دائماً بأهمية أن أكون جزءاً فعالاً في التواصل مع مجموعة المعلمين الفلسطينيين من مختلف المناطق، وتبادل الخبرة معهم. فنحن كمعلمين فلسطينيين، بغض النظر عن مكان تواجدنا الجغرافي، علينا أن لا نجعل الحدود والمسافات عائق يحول دون التزامنا بمبدأ التغيير المجتمعي والتعليمي، عبر سياقات وتجارب تطبيقية ذات معنى، وتعزيز انتمائنا كمجموعة نتواصل لنتشكل بشكل أفضل، ولنعرف أنفسنا ودورنا بشكل أعمق (وهذه هي رسالة التحدي والمسؤولية الجماعية).

لا أنكر أنه خلال فترة التحضير للمشاركة في المؤتمر انتابتني حالة من الارتباك، في ما يمكنني إيصاله في الوقت الزمني المتاح، وبخاصة أن تجربتي تعتمد على فكرة ربط الدراما بالمنهاج التعليمي عبر أسلوب «عباءة الخبير»، المعروف في الدراما في التعليم، هل سأستطيع إيصال دوري في التجربة، تأملاتي، دور طلابي في بناء المعرفة واستخدامها، اتخاذهم للقرارات وتحمل المسؤولية اتجاه تعلمهم وتطويره. لكني خرجت من المؤتمر بشعور أن إعدادي وتحضيري لم يذهب سدى، بل تولدت لدي رغبة في تعميق الالتزام والاستعداد التام لإعادة هذه التجربة وتعميقها. فالتجربة أضافت لي الكثير على المستوى الشخصي والمهني، جعلتني أذوت حاجتي للتأمل في ممارستي الصفية لتتسنى لي الفرصة دائماً لتقوية إنسانيتي وتعميقها.

لا شك في أن ما عرض في المؤتمر من تجارب تربوية تحتاج في ممارستها المهنية قدراً من المعرفة، والفهم، وتوظيف العديد من المهارات التحليلية والتأملية لتقييم ممارستنا التعليمية. فالتجارب كانت غنيّة بالمنظورات المعرفية المتجددة والمتنوعة. وهذا التنوع فتح لنا المجال للاكتشاف والتعرف إلى الطاقات الهائلة لدى المعلمين والطلاب، وتفاعلهم سوياً بممارسة التعليم كمشروع في المعرفة والحياة.

أخيراً أرى أن تجربة المؤتمر فذّة ونوعية، ساعدتنا في التعبير عن هويتنا الشخصية، وهويتنا القومية كمعلمين فلسطينيين، ويجب ألا تقف هنا، بل يجب أن تتسع الدائرة وتنطلق لتشمل مناطق فلسطينية مختلفة.

رائدة حسن

---

(11)

الجميع كانوا مشاركين

«مدية»، تاريخ وذكريات مهجرين تُسرد بإحساس أصحابها، تنقل عبر تجربة طلاب ومعلميهم. أذكر أن المؤتمر قد حضن العديد من التجارب التي نقلت بلسان أصحابها ومن عاشها، ثم تلاها حوار وتضارب آراء، وأحياناً احتد النقاش وعلت الأصوات في قاعة المؤتمر. لم يخفني الأمر، بل كان بالنسبة لي نجاحاً عظيماً لمثل هذا الإطار الذي حفّز الحضور ومنحهم الفرصة للتعبير عن الأصوات المتعددة، وأعطاها الشرعية لأن تسمع.

كنت ممن شاركوا بتجاربهم في هذا المؤتمر، بل كنت أكثر من ذلك، شاهدت وأصغيت وقرأت الكثير من الأشخاص والإيماءات. حقاً، كانت تجربة رائعة، سأسمح لنفسي بأن أفرّق بين واقعين مختلفين على ضوء هذه التجربة؛ واقع أعيشه يومياً بتفاصيل مجتمع عربي ومجتمع يهودي انخرط هنا تارة وهناك تارة أخرى، قصص وتجارب تروى في العديد من اللقاءات والمؤتمرات. فيها تجد نفسك، في أغلب الأحيان، مدافعاً عن قصتك الحقيقية، عن هويتك وذكريات أجدادك، إن سنحت لك الفرصة، فأغلب المؤتمرات لا تتطرق إلى قصص الناس وتجاربهم الحقيقية، بل يكون جل اهتمامها نشر نظريات أو برامج جديدة أو عرض التغييرات التي تمر بها المناهج المختلفة.

وواقع مؤتمر يحرّك الأصوات، يتيح لها الفرصة لأن تثير ضجة في المكان، فلم يكن هناك مشارك ومشاهد، بل الجميع كانوا مشاركين، فقد شاركوا بتجاربهم وأصواتهم. فعلى الرغم من اختلافها وتعدديتها، فإنني رأيت القصة الواحدة. صور كثيرة وتعابير متعددة أصغيت لها في قاعة المؤتمر وخارجها، هناك وسط التجمعات في الاستراحات، حلقات تعارف وتبادل في الآراء، وأحياناً دعوات لزيارات بلدات لا أعرفها. فقد عشت واقعاً لم أعشه من قبل بحيثيات زمانه وتفاصيل مكانه.

ما زلت أحتفظ بصور عديدة منه، قمت بوصفها لأهلي، شاركتهم بذكريات المهجرين وقصصهم كما سردوها، قصصت لهم حكاية قرية المدية التي أتوق إلى زيارتها.

لا يسعني إلا أن أشكر كل من بادر وثابر على إنجاح هذا المؤتمر، ومن منحني هذه الفرصة لأن أشارك فيه. عائلة «القطان» بمن فيها من أعضاء، وإدارة، وأصدقاء، لها أتمنى أن نحظى بفرصة لقاء آخر في العام القادم.

سوسن مرعي

(12)

الشعور بالنجاح ليس بامتلاك خبرة جديدة بل بمشاركة الآخرين بها

عندما سمعت بالمؤتمر للوهلة الأولى كان الشعور بعدم مشاركتي هو المسيطر على تفكيري، وبخاصة أنني لم أشارك في مؤتمرات من قبل، حتى فكرت ملياً وتوصلت إلى أنني لن أخسر شيئاً من ذلك، بل على العكس يمكن أن تكون خبرة جديدة لي وتجربة لا تعوض، وبخاصة أنني اكتسبت معرفة جديدة في «الدراما في التعليم»، ومن الجيد أن أشارك الآخرين بها، والاستفادة من التجارب التي ستعرض أيضاً.

وبينما كنت أحضر لتجربتي، شدني كثيراً حماس القائمين على هذا المؤتمر، من خلال استعدادهم لتقديم شتى أشكال الدعم وعدم التذمر أو التهرب، حيث كان بعضهم يصل ليله بنهاره ليستطيع أن يقوم بما هو مطلوب منه وأكثر من ذلك، وينهي العمل بالزمن المحدد له، ما جعلني ازداد حماساً للمشاركة والعمل على تقديم أفضل ما يمكنني تقديمه.

إلى أن جاء المؤتمر، حيث تضافرت فيه كل الجهود من متطوع ومشارك ومسؤول، الجميع يعمل كخلية نحل واحدة ساعية لبذل كل جهودها من أجل الجماعة، حينها شعرت بالفخر بأنني كنت أحد أفراد هذه المجموعة، وشعرت بمسؤولية كبيرة بالعمل لتقديم الأفضل.

شاركت في المؤتمر، وقدمت تجربة محورها "القصة خيال فاعل"، لأطفال بعمر 5 سنوات، حيث أردت من خلالها إعادة التذكير بأهمية القصة التي

أصبحت تختفي شيئاً فشيئاً في عالمنا، هذا الذي يعتمد بشكل كلي على الجانب التلقيني ويبتعد عن الجانب التخيلي الإبداعي. فالقصة هي إحدى الطرق لصنع معنى للحياة، ومجموع هذه القصص يشكل ثقافة وتاريخ مجتمع ما، فمن ليس له قصة ليس له تاريخ، ويفتقر للثقافة، فهي تحمل بطياتها أغراضاً، مشاعرَ، أشخاصاً، زماناً ومكاناً، تجعلك تعيش عالماً من الخيال يقودك لاكتشاف العالم الحقيقي من حولك، وهذا الخيال يجعل من عقل الأطفال طائراً يحلق عالياً بحرية ولا يعرف الحدود، وليس طريقاً واحداً، بل يرى فضاء غير محدود وطرقاً مبدعة يختلقها هو.

خضت التجربة، وبرأيي امتلك المؤتمر المفاتيح التي مكنت من تحويل الأحلام لحقائق وتجارب ناجحة مع مبتدئين وآخرين من ذوي الخبرات السابقة، وتجارب متعددة، وبخاصة أننا نعيش في عصر يتميز بالتعددية الفكرية، وعدم الأخذ بالمسلمات التي تقود إلى جمود الفكر، وأصبح يسعى إلى تقديم بدائل في ميادين حياتية مختلفة، وبخاصة ميدان التربية، فقد أظهرت التجارب التي عرضت أن فكرة "الحلول المتعددة والطرق المتنوعة" هي بدائل لفكرة "الحل الوحيد والطريقة المثلى"، وأن كل مشارك كان يمتلك خبرة ما أظهرت قيمة مختلفة.

فالمؤتمر، إضافة إلى أنه ساهم مساهمة كبيرة في مشاركة الأفكار والخبرات والمعلومات، فقد بين أيضاً أن هنالك موجة جديدة من الإصرار على التقدم بطرق التعليم، لنقل العملية التعليمية من حالة الجمود التي تعاني منها، وأن هناك طاقات كثيرة مبدعة وخلاقة تحتاج إلى المزيد من هذه المؤتمرات حتى ترى تجاربها النور.

فيفيان طنوس

---

(13)

نستكشف ونبحث ونجرب ونتشارك المعرفة

إنها المرة الأولى التي أشارك فيها في مؤتمر، مشاركة حقيقية فاعلة، الأمر مختلف والمؤتمر مختلف، سأترك الحديث عن المؤتمر واختلافه لمن بنى إستراتيجية المؤتمر ومن جرب ما قبله من مؤتمرات القطان، وسأتحدث عن مشاركتي فيه، وكيف أثرت المشاركة في وجودي كمعلم، وفي إيصال صوتي للآخرين ووصول صوت الآخرين لي، تشارك زاد من قناعتي بأن التغيير الذي أتمنى أن أصل إليه أصبح واقعاً، وبأن هناك من يشاركني الفكرة، ويشاركني الأمل بالسعي نحو تعليم أفضل لأطفالنا، نسير جنباً إلى جنب نستكشف ونبحث ونجرب ونتشارك المعرفة كما نتشارك الهم في الوطن الجريح.

منذ أن بدأت التحضير للمشاركة في المؤتمر، لم أكن أفكر في التجربة التي سأعرضها، لأنني كنت قد نفذتها قبل عام، بل كان ما يشغل تفكيري هو إيصال تجربتي مع «القطان» بكل تأثيراتها، التي كانت تجربتي التي عرضتها في المؤتمر نتاجاً للتفاعل مع المؤسسة ومدرستها الصيفية ومعلمينا في المدرسة الصيفية وزملائي المشاركين وطلابي. كل شيء كان حاضراً، وكل شيء كان له صلة بتطوري المهني، وكانت التجربة بكل صدق بناء شاركني فيه الجميع، وقدم لي حجراً في جدرانه، بناء أقمته على أساس متين، شيدته في فناء مؤسسة القطان وبإشرافها.

ساعات طويلة قبل المؤتمر كنت أرى العمل على التجارب بقوة، وأرى من كان يمضي ساعات طويلة بعد انتهاء دوامه في المؤسسة سعياً لإنجاح التجربة، وإيصال الفكرة في المؤتمر، هذا التأثير الذي أحسسته لا يقل قوة عن المؤتمر وتجاربه.

ما أريد قوله إن الفكرة ليست مادة نعرضها أو حصة أو فكرة أو أسلوب تعليم، لقد كانت عالماً من التفاعل والعمل والتجريب والتواصل. نعم، لقد رتبت تجربتي قبل المؤتمر مدركاً ما تحمله من فكرة لم اقرأها في كتاب، ولم أشاهدها في فيلم، لقد عشتها بحلوها ومرها، براحتها وتعبها، ولذتها وجمالها، استودعتها كفاح الفني الذي كان شاهداً على تجربتي منذ البداية، وكانت بصمته واضحة على عرضها، واستودعت أفكاري أوراقاً وهمي أن تصل الفكرة في المؤتمر لكل من يسمع.

يومين من التفاعل والعمل والنقاش والبحث كانت تشحنني وتغذي الفكرة عندي وتقويها، وتؤكد أن ما أحمله يضعني على الطريق الصحيح، وفي آخر اليوم الثاني من المؤتمر، وضعت تجربتي أمام الجميع، وشعرت بالراحة لأنني نجحت في حمل الأمانة ونقلها: صوت أطفالي وحقهم، وصوت من بنى وسعى وتعب لتطوري المهني، وصوت من أرشدني ونصحني ووجهني، وصوت من سمع واقتنع وشجعني، وكانت تجربتي في المؤتمر من الوقفات التي نقلتني نقلة كبيرة، وخطت بي خطوة كبيرة نحو قناعتي بجدوى ما أقوم به، وما أسعى إليه، جعلتني أقوى وعدت متحمساً لفكرة جديدة، وترسيخ ما قدمت وتطويره، ولم أزل كلما نظرت في تجربتي تدمع عيناي حين أدرك أن بإمكاني أن أقدم لأطفالي ما يستحقون.

معتصم الأطرش

(14)

علامات فارقة

مما لا شك فيه أن الانفتاح على النتاجات الأكثر غنى تربوياً في شتى الأرجاء على هذا الكوكب كان له الأثر الفعال في عملية النقد التربوي البناء لما هو سائد من رتابة النظريات وحتى الممارسات التربوية في فلسطين.

ولأننا نتوق دوماً للتغيير، فهذا أصبح بمثابة ثقافة فلسطينية لها مبرراتها عبر بوتقة الأحداث السياسية والاجتماعية التي مرت بها هذه المنطقة من العالم، فكان لا بد من البحث والتنقيب عن كل حداثة تربوية، تكون غنية بعناصر إمداد التربية والتعليم، بما تحتاجه من أجل بناء جيل قادر على فهم ذاته ليفهم العالم والعالم يتفهم تطلعاته . . . .

مؤتمر القطان التربوي الثالث ما هو إلا خطوة متواضعة في هذا المجال، وتواضعه يأتي من باب أن يداً واحدة لا تصفق، فالمؤسسات التربوية العاملة في فلسطين لا تنظر بعين الجديّة لمدى الخطورة التي تتعرض لها عملية بناء الإنسان تربويا في فلسطين، ومن هنا كان لا بد من إمداد مركز القطان بالمعونة المعنوية والالتفاف حول نظرته في تعليم مغاير كان بالأمس هو التعليم؟!

إن مؤتمر القطان الثالث يحمل رسائل تفضي لخلخلة الهرم التقليدي في النظرة لمفهوم عملية التعليم والتعلم، هذا المؤتمر قدم المعلم كمعلم وباحث وناقد ومتعلم وشريك وفاعل وإنسان وسياسي . . . قدم المعلم صاحب قيادة في خلق نشء يرسم خريطة العالم بآمال يحققها . . . ، كما قدم الطالب كعنصر فاعل وفاعل جداً وشريك ومتمم وبنّاء لعملية التعلم والتعليم . . . ، هذا المؤتمر رسم ملامح لمفهوم التربية المحببة والمعطاءة التي ننزاح تجاهها لما فيها من أطياف كبيرة في فتح فضاءات خلاقة للمعلم والمتعلم على حد سواء . . . .

هذا المؤتمر انطلاقة لا تستحق أن توأد، هذا المؤتمر يوضح الرؤيا في كيفية التعامل مع منهاج يخالف مقرراته . . .؟!، وأجمل ما في المؤتمر ذلك الجدل المتباين بين مؤيد ومعارض، ومستفهم وباحث . . . بين أرجاء المعلمين، ولكن في النهاية ستكون حالة هذا الجدل علامة فارقة للشروع في إعادة النظر بالذات قبل النظر في محتوى عملية التعلم، ولذلك ستكون الانطلاقة من الذات وإيمانها بجدوى التغير والتغيير.

نسيم قبها

---

(15)

قفزة كبيرة

أعتقد أنني لست مبالغاً حين أقول إن توقعاتي كانت متواضعة، بل متواضعة جداً، بشأن النتائج التي يمكن أن تتمخض عن هذا المؤتمر. وكان هذا التشاؤم يعود لأسباب عدة؛ أولها الظروف الجوية السيئة التي رافقت انعقاد المؤتمر، وثانيها لأن المعلمين ضاقوا ذرعاً بالدورات التي تعقد لهم وبشكل منهجي من قبل مديريات التربية والتعليم، والتي أصبحت مملة أحياناً، ولا يتحمس لها المعلمون كثيراً. لذلك، توقعت أن يكون ذلك المؤتمر نسخة عن تلك الدورات واستمراراً لها.

لقد تغيرت انطباعاتي وتوقعاتي كثيراً، وذلك للأسباب التالية: أولاً، الترتيب الدقيق لكل الفعاليات ذات العلاقة بالمؤتمر، التي أن دلت على شيء فإنها تدل على العمل الدؤوب والمخلص والجهد الكبير الذي بذل من قبل القائمين على المؤتمر. ثانياً، التجارب الكبيرة ذات المضمون العميق التي صممت وبعناية شديدة، بهدف إحداث التغيير المطلوب؛ تغيير يضع العملية التعليمية برمتها في مسار جديد.

إنني على يقين بأن مسافة المائة ميل تبدأ بخطوة واحدة، وإنني على يقين أكثر بأن مؤسسة عبد المحسن القطان قفزت خطوات كبيرة من خلال هذا المؤتمر الكبير بإنجازاته وتجاربه.

عبد الله قبها